ابن سنجر

للاستاذ عبد الحميد العبادي

٢

هذه المقدمة الطويلة نأتي لك بذكر اضافات في تجارب السلف على كتاب الفخري على سبيل المثل لتطلع على بعض ذلك تنويراً وتوضيحاً لقيمة تجارب السلف واهميته التاريخية ، وهذا ماحيدا بي الى كتابة هذا الموضوع عن هذا الكتاب ، ومن الصعب جدا ان اواكب كل ما هو زائد على الفخري اذ قد يكون ذلك في عشرات الصفحات ولا مجال لذلك هنا .

١ ــ من الزوائد المهمة ترجمة ابي عبدالله الحسين بن سعدان ترجمة مفصلة لم توجد في غير هذا الكتاب ومما قال هنا : (. . ولد بشيرازسنة « ٣٣٧ » هـ وكان كاتباماهرا وله يحذق في علم الحساب ، وجعله صمصام الدولة ابو كاليجار بن عضدالدولة وزيرا له فتكبر على الناس وضاقت نفسه واخلاقه وزادت شراسته ، وفي وزارته ارتفعت الاسعار وخلت الخزائن وخرجت الامور عن انتظامها وقد اكمل نحوسة ابن سعدان خروج خارجي على الدولة (١) فاتهم الناس ابن سعدان بمكاتبته سراً ومراسلته فقتله صمصام الدولة وقطع رأسه عن بدنه ومن العجائب ان كان لابن سعدان عدو اسمه ابو الوفا طاهر بن محمد فطلب ابن سعدان من رجل ان يقتله ويأتي برأسه فلما رآه فرح كثيراً وامر ان يدفن بشاطئ دجلة تحت المسناة التي عليها قصره فلما قتل ابن سعدان ألقي بدنه في دجلة وحمل رأسه ودفن تحت المسناة نفسها بجنب صاحبه وكان قتله سنة ٣٧٥ هـ وكان ابن سعدان قليل الفضائل بل كان كله شر وبهتان وسوء أدب وقد توسل بطرق الشر للوزارة وكانت ايامه كلها ضيقاً وحرجا على الناس . .)

٢ ــ شرح وحلل انحطاط الدولة ايام المستعصم بصورة واسعة لم يسبق ان شرح مثل ذلك قبله من المؤرخين وعزا كل ذلك الى المستعصم نفسه . ومن بديع ما ذكره في تلك الترجمة عن ام المستعصم هاجر (انها كانت مملوكة وقيل انها حرة من مندلي ؛ وكانت معروفة بالجمال في بلدتها فحملت الى المستنصر وتزوجها وكانت كاتبة صالحة ديبة وحجت في عهد ولدها في ايام خلافته . .)

٣ ــ وصف في ترجمة المستنصر ساعة المدرسة المستنصرية ومما ذكره هناك قصيدة طويلة لموفق الدين قاسم ابن ابي الحديد المدائني كاتب الانشاء وقد افتتحها بقوله في وصف المدرسة :

مامثل الفلك العظيم المبصر في الارض قبل ايالة المستنصر

٤ ــ زاد على الفخري في ترجمة الوزير القمي امورا كثيرة ومنها (. . كان ماهرا في كثير من الفنون والآداب وصاحب رأي صائب ومبرات وصدقات كثيرة واسس في مشهد موسى بن جعفر مستشفى وجلب له الادوية والاشربة والمعاجين واوقف كل ذلك على اهل المشهد ، واسس خزانة كتب ودار قرآن يتعلم فيها أيتام العلويين حتى تحسن قراءتهم ويحسن خطهم ، واوقف على ذلك أوقافا عديدة لتبقى تلك المؤسسات مستمرة . .)

٥ ــ زاد في ترجمة الوزير مؤيد الدين ابي المظفر محمد بن احمد القصاب امورا كثيرة ومنها : « . . اسس في بغداد خزانة كتب واسعة وجعل فيها كتباً نفيسة لطلاب العلم وأوقف ذلك عليهم وكتب الوقفية بيده وبخطه الجميل وكان يعظم اهل العلم واهل المواهب . . »

٦ ــ زاد في ترجمة ابن العلقمي الاشارة الى خزانة كتبه وذكر هناك مفصلا الاحتفال الذي اقامه ابن العلقمي لعبدالحميد ابن ابي الحديد عندما الف شرح نهج البلاغة باسمه ومما قال : (. . فلما حمله الى مجلس الوزير قام من مكانه ودخل في

---

(١) هذا النص يخالف ما ورد في ذيل تجارب الامم حيث قال (ان ابن سعدان حبس من قبل صمصام الدولة بتأثير عبد العزيز بن يوسف الكاتب فلما ثار الثائر عمد عبد العزيز الى صمصام الدولة وقال : ان ابن سعدان يراسله من السجن فأمر بقتله)

خزانة كتبه فاخرج له الفاً وعشرة تخوت ثياب للرجال والنساء واعطاه مملوكة تركية جميلة وخادما حبشياً صغيراً وفراشاً وزوالي وأواني فضية وخادما حبشياً كبيراً وخلع عليه واعطاه اموالاً فقال عز الدين بن ابي الحديد : ما كنت الى هذه الدرجة استحق منك ايها الوزير فأزاد الهبات وقال له: اترك هذا الكلام فنحن لا نستطيع شكرك وبالله مادمت حياً سأرعى حقك فخرج الخدم معه واركبوه واوصلوه الى بيته ولما وقعت حادثة بغداد ايام دخول المغول وحمل عز الدين وأخوه موفق الدين الى القتل . اتصل ابن العلقمي بالخواجه نصير الدين الطوسي وأصر عليه في الشفاعة للاخوين هذين الرجلين فخصهما نصير الدين فشكره عز الدين ابن العلقمي فقال له : والله كنت أفدي نفسي لك ولأخيك لو لم تنجح الوساطة لأنك أنت الذي خلدت اسمي في كتابك . . الخ)

٧ — ذكر في ص ٢٧٢ في ترجمة نظام الملك الخواجه ابي علي الطوسي النصيحة النظامية التي نصح بها الشيخ ابو سعيد معمر ابن عمامة واعظ بغداد واحد علمائها وصلحائها وقد نصح بها الخواجه نظام الملك حين جاء الى بغداد في المرة الثانية ولم يكرم الناس ولم يوزع الأموال على أهل بغداد كما فعل في المرة الاولى فتوجه هذا الواعظ الى مجلس نظام الملك فاراد بعض الأتباع ان يزجره فمنعه نظام الملك وسمع النصيحة كلها وكانت خطبة طويلة أدرجها المؤلف هنذوشاه كلها بالنص العربي ثم ترجمها للفارسية ترجمة بليغة وسماها النصيحة النظامية فلما انتهى الواعظ من نصيحته أمر بألف دينار لأبي سعيد فرفضها فرجع الخواجه الى العادة الأولى وأمر بتوزيع العطايا على اهل بغداد ولم يحجب احدا عنه .

٨ — عنون في ص (٣٤٤) عنوانا لا يوجد في الفخري هو (احوال بردة النبي ص) شرح تاريخ البردة منذ اخذها كعب بن زهير حتى وصولها الى خلفاء بني العباس ومما قال : (. . وتناقلها خلفاء بني العباس وعلى طول الزمن بليت وتهرت وقد طلب الوزير السلجوقي عميد الملك الكندري من طغرل بك ببغداد ان يترجى من الخليفة ليعطيه قطعة منها للبركة فاعطاه فلما قتل عميد الملك لفت هذه القطعة مع كفنه ودفنت معه ، ولما دالت دولة بني العباس وصلت هذه البردة الى نوبة خديجة الزمان ملكة المكان رابعة خاتون بنت الأمير أبي العباس احمد بن المستعصم وزوجة الصاحب السعيد شرف الحق والدين هارون بن الصاحب الشهيد سلطان الوزراء والآفاق شمس الحق والدين محمد صاحب الديوان الجويني ، وكانت هذه البردة عند زوجها ويظهر انها حصلتها في واقعة بغداد وكانت عند امها زوجة الصاحب السعيد خواجه عطا ملك اخي صاحب الديوان وهذه وصلت الى ابنتها .)

٩ — زاد في ترجمة ابن العميد الوزير قوله (. . ان المتنبي لما ارادزيارة عضد الدولة بفارس ووصل الى ارجان كان هناك ابن العميد فدعاه اليه واكرمه ورحب به وبقي عنده مدة وقرأ عليه كتاب العين للخليل بن احمد وكان كلما جاء المتنبي الى مجلسه قربه اليه واجلسه بجنبه حتى يتعجب الحاضرون من تواضع ابن العميد وقالوا هكذا يقرأ العلم على العلماء ، وقد نظم المتنبي في ابن العميد عدة قصائد واعطاه ابن العميد الف درهم جائزة . .)

والى هنا نكتفي من ذكر نماذج تبين اهمية الكتاب والفرق الواضح بينه وبين كتاب الفخري . ولا نريد ان نترك البحث من دون اشارة الى نقطة اخرى في تجارب السلف فقد وقعت فيه بعض الاوهام ويظن ان اغلبها من النساخين والقليل منها من المؤلف كقوله في ترجمة الخليفة الاول اثناء ترجمة أبيه (. . وكان شعر ابي قحافة كبيضة النعام حين جاء الى النبي ليسلم) والنص الوارد في كتب الادب والتأريخ (. . كان شعره كاثغامة البيضاء) والثغامة الشجرة فتوهم المؤلف وترجمها للفارسية بالبيضة للنعامة ، وكقوله في ترجمة زوجات النبي « ص » (وكانت حفصة قبل تزوجها بالرسول عند الجليس بن صداقة سلمى) وهذا وهم والصحيح « خنيس بن صداقة السهمي » وما الى ذلك من امور قليلة جدا لا تعيق أي مؤرخ من الأطلاع على تحريفها . وبعد انتهائك من قراءة هذا الموضوع واطلاعك على ان منية الفضلاء ليست هي الفخري وانما هي كتاب آخر في اتجاهين مختلفين تعرف اضطراب الاستاذ العزاوي وتناقضه في المجلد الأول من تاريخ العراق

الدراسة في النجف

— ١٠ —

بقلم الاستاذ أحمد مجيد عيسى

***

الطالب النجفي

جنسيته

لا يشترط في الطالب الديني ان يكون ذا جنسية خاصة بل يقبل الاستاذ في حلقة درسه او في مدرسته كل طالب اقدم عليه لغرض الدراسة سواء أكان فارسياً او عربياً او تركياً او هنديا او غير ذلك وانما يراعي فيه ان يكون منطبعا بالطابع الديني الاسلامي .

مراتبه وألقابه

للطالب ست مراتب ينبغي عليه ان يجتازها لكي يحصل على شهادة الاجتهاد وهو (الطالب) اثناء تدرجه في هذه المراتب ينال القابا مختلفة بين مرتبة واخرى وتعطى هذه المراتب والالقاب الى الطالب بالنسبة لما يقرؤه من المواد والكتب المعدة للدراسة (وقد مر ذكر المواد سابقاً) فاذا انتهت المواد المعدة للدراسة فقد اجتاز الطالب المراتب كلها وحصل على شهادة الاجتهاد وهذه المراتب هي :

١ـ المرتبة الاولى : ويعطى الطالب فيها لقب الشيخ ويدرس خلالها النحو والصرف

٢ـ المرتبة الثانية : ويعطى الطالب فيها لقب الاستاذ وذلك بعد براعته في النحو وصلاحيته لان يدرس الغير ويستمر هذان اللقبان (الشيخ والاستاذ) له بعد دراسته لعلم المنطق .

٣ ـ المرتبة الثالثة : ويعطى الطالب فيها لقب العالم يدرس خلالها علوم البلاغة ، ثم علم الاصول وبعض الكتب الاستدلالية في الفقه .

(٤) ثم بعد هذه الدراسة إن تكونت في الطالب مقدرة على معرفة الحكم الشرعي من الادلة الشرعية والكتاب والسنة والاجماع والعقل اعطي لقب المجتهد وهذه هي المرتبة الرابعة

(٥) ثم اذا تقوت فيه هذه المقدرة وتمركزت فيه ملكة العدالة ورجع اليه بعض العامة لمعرفة الاحكام الشرعية اعطي لقب المقلد وحجة الاسلام وهذه هي المرتبة الخامسة .

(٦) ثم اذا رجع اليه بعد هذا عامة الناس او اغلبهم اعطي لقب المجتهد الأكبر وآية الله وهذه هي المرتبة السادسة (١)

لباسه وهيئته

اما من جهة لباسه فعليه ان يرتدي على رأسه العمة العربية فمن كان من نسل رسول الله (ص) او احد الأئمة (ع) ارتدى العمة السوداء وغيرهم يرتدي العمة البيضاء . اما مايلبسه على جسده من الملابس فهي الزبون والجبة ويشترط عليه ان لايحلق لحيته وشاربه بل يحتفظ بهما سواء أكانا قصيرين أم طويلين

(١) هذه المراتب تختص بالطالب الذي لم يلتحق بمدرسة من المدارس وانما يدرس وفق نظام الحلقات او على الطريقة الفردية اذ ليس لطالب المدرسة مراتب بل علوم تختلف بين سنة واخرى .

في حوادث سنة « ٧٠١ » حيث تحامل على ابن الطقطقي تحاملا لا مبرر له الا لكونه تعرض لآل الجويني وذمهم ومن هم آل الجويني . هم كسائر رجال السياسة في اغلب الادوار الاسلامية منفعة للنفس وللأصدقاء وللأقرباء وليكن بعد ذلك الموت لغيرهم ، وقد خلط الاستاذ العزاوي فاعتقد ان منية الفضلاء هي الفخري ومع هذا الاعتقاد ومع ان منية الفضلاء التي رجمها هندو شاه واضاف عليها تمدح كبيراً آل الجويني بقي الاستاذ العزاوي مصرا على التحامل على ابن الطقطقي كما هو مصر على ان الفخري ومنية الفضلاء كتاب واحد ، وابن الطقطقي كما عرفت له كتاب ثالث في التاريخ ، ورابع سماه الذايات ، وخامس في علم الانساب كما نقل عنه ابن الفوطي في مجمع الآداب في طي تراجمه من نسخة الدكتور مصطفى جواد المصححة .

بغداد — عبد الحميد الدجيلي